عدد ٢٠ السنة الثانية

المنار

١٣١٥

في يوم السبت ٢١ ربيع الاول سنة ١٣١٧ الموافق ٢٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩

الحياة الملية

ملخص خطاب ألقاه منشىء هذه المجلة في جمعية «شمس الاسلام»

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم

أيها الاخوان ـ لا أرى موضوعاً أمس بحالنا من موضوع (الحياة الملية) الذي ذكرتني به الآية الكريمة التي جاءت في خطاب الأخ الاكبر رئيس الجمعية وافتتحت بها كلامي هذا . لا أبحث في التقدم والتأخر ولا في الترقي والتدلي ولا في القوة والضعف ولا في العزة والذلة فان جميع هذه الشؤون والاطوار انما تكون للامم الحية النامية اذ منها الآخذ في النمو بحركة الاستمرار وهي ذات التقدم والترقي والقوة والعزة ومنها ما تتجاذبه قوتا التحليل والتركيب فيكون حظه من هذه الاطوار وما يقابلها تابعاً لغلبة إحدى القوتين اللتين هما ميزان الحياة القومية الامية ولا شك ان رجحان كفة التحليل يؤدي الى الفناء وفقد الحياة بالكلية

لقد بدا هذا التحليل في جسم حياتنا الملية من عهد بعيد حتى تلاشى هذا الجسم أو كاد ولم يبق فيه ما يقبل التحليل فكان اول واجب علينا ان نتلمس العلاج الذي يعيد الينا حياتنا المفقودة . يدل على فقدنا هذه الحياة حديث

(بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا) ومن الناس من يفهم من هذا الحديث ان الاسلام اذا وصل الى هذه الحالة لايعود اليه مجده ولا ترد اليه حياته . ولنا ان نقول انه صريح في ان نشأته الثانية ستكون كنشأته الاولى . غربة وضعف ثم معرفة وقوة وسيادة تجمع أطراف السعاده (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون)

بماذا نحيا ؟ لاحياة لنا الا بما حيي به اسلافنا من قبل وماكانت حياتهم الا بروح القرآن . أترون من البعيد ان تعود الينا حياتنا بهذا الروح الشريف ؟ كيف وقد عاش آباؤنا الاولون بالاستقاء من ينبوعه المنفجر من عين الحياة الازلية الابدية وانما متنا بترك الاستقاء منه ! اكتفاءً بالوشل الآجن الذي ينضح من آنية أمثالنا المخلوقين . ان القرآن قد صارع الهمجية العربية فصرعها وغالب جيوش الوثنية فغلبها وزرع فسيل المدنية الفضلى في تلك الارض التي كانت معشوشبة بجميع الاعشاب الخبيثة فاجتث هذه الاعشاب وأنمى ذلك الفسيل فكان أدواحاً عظيمة اثمرت من كل زوج بهيج . اشتهر عند مشركي العرب ان القرآن ماخالط قلباً الا وجذبه الى الحنيفية وقاده الى جنة الاسلام بسلاسل الاقناع والبرهان فحملهم الحرص على عقائدهم وحب البقاء على تقاليدهم على مقاواته بما يمكنهم فكان امثل رأي ارتأوه في ذلك ماقصه الله علينا بقوله (وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) رأوا عدم السماع له بالمرة وهو رأي الجبناء في الهزيمة ورأوا مقابلته باللغو واللغط لئلا يسبق منه الى الاذهان شيء فيقتادها الى مالم يكن من مرادها وان كان فيه هدايتها ورشادها ولم يكونوا مع هذا على ثقة من الغلب وانما هو الامل والرجاء * تتشبث به النفوس في البأساء والضراء . وبلغ من

عدائهم للقرآن ماقصه الله تعالى عليه بقوله عز من قائل « واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم » فاذا كان القرآن قد احيا أولئك الاقوام مع شدة كراهتهم لهذا النوع من الحياة ومقاومتهم له بما علمنا من المقاومة وكانوا منه في امر مريج فكيف لايحيينا ونحن نوقن بانه كلام الله الذي (يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ان الحياة التي تفيض علينا امواهها من انابيب القرآن تكفل لنا سعادة الدارين وتمنحنا الفوز بالحسنيين ولا نعلم دينا جمع بين مصالح الروح والجسد ومنافع الدنيا والآخرة على وجه الكمال الا دين القرآن الذي علمنا ان ندعو الله تعالى بقوله (ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخره حسنة وقنا عذاب النار) يقول نبي هذا الدين صلى الله عليه وسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى) ويقول (لان تدع اولادك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون) ويفضل مثل هذا علماؤنا الغني الشاكر على الفقير الصابر والشاكر هو الذي يصرف من فضل ماله في وجوه البر والمنافع العامة * هذا وان كتب الاديان الاخرى تقول (لايدخل الغني ملكوت السماء حتى يدخل الجمل في سم الخياط) . كان من اهل هذا الدين من افرط في الزهادة وبالغ في البعد عن اعمال الدنيا بل وفي التنفير عنها وهؤلاء قد عملوا بنصف الدين الاسلامي وتركوا النصف الاخر ولا اعيبهم جميعا فان منهم قوماً قاموا بخدمة مولاهم واخلصوا له في سرهم ونجواهم ولكن اقول انهم لايصلحون للقدوة والارشاد وان الذين يتمسكون بركني الاسلام كليهما - ركن الدنيا وركن الاخره - افضل منهم . ذكر رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ووصف من صيامه وقيامه

وانقطاعه للعبادة مااوجب العجب فسألهم عن معاشه فقالوا ان له اخاً يكتسب و ينفق عليه فقال (اخوه افضل منه). القران صريح في طلب اقامة الركنين معا ولكن الغالين في الزهادة اغضوا عن مثل قوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) ومثل (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) واخذوا بالايات التي تتعلق بركن الاخرة فقط . ان الاحاديث في الزهادة كثيرة جداً ولكن الكثير منها بين ضعيف وموضوع لا اصل له وما كان منها صحيحا فالغرض منه كبح جماح النفوس المجبولة من طينة الطمع كيلا تتعدى حدود الحق وتحب المال لذاته فيمسك اصحابها الفضل منه عن المنافع العامة واعمال البر ويمنعون الحقوق فيكونون عبيد المال والهوى . اذكر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطى رضي وان لم يعط سخط تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش) رواه البخاري من حديث طويل

اشار الاخ الاكبر في خطابه الى ان مدنية اوربا مقتبسة من الاسلام وما قال الا حقا اعترف به بعض فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم من قبل . لا اقول ان كل فرع من فروع هذه المدنية يوجد في الكتاب والسنة كما لا اقول ان كل فرع من فروع الفقه منصوص عليه فيهما وانما جاء هذا الدين بقواعد عامة وارشادات كلية يمكن للانسان ان يهتدي بها الى سعادة الدنيا والاخرة معا فكما استنبط الفقهاء وعلماء الاخلاق الاحكام والمسائل القضائية والادبية وغيرها من تلك القواعد كذلك اهتدى علماء الاجتماع بها الى المسائل والفروع المدنية التي تتعلق بالعمران ورقي نوع الانسان * اشير الان الى بعض تلك القواعد بالايجاز واذا امهل الزمان فانني افصل القول فيها تفصيلا

في اجتماع آخر ان شاء الله تعالى

من تلك القواعد قاعدة سنن الكون ونواميس الاجتماع والعمران التي بها تعرف اسباب ترقي المجتمع الانساني وتدليه ومن راعاها في سيره فاز باماني وقد أرشدنا القرآن الى هذه السنن الالهية وهي التي يعبر عنها الفلاسفة بالنواميس الطبيعية وبين لنا انها تعرف بالسير في الارض والنظر في احوال الامم فقال (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) وقال (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقد اهتدى الاوربيون الى معرفة هذه السنن ورعوها في سيرهم حق رعايتها فعرجت بهم الى الاوج الذي نراهم فيه. ومن تلك القواعد استعمال العقل في العلم والدين والاخذ بالبرهان وقد كانت الامم الاوربية كغيرها محجوراً عليها ان تعتقد غير مايقوله رؤساء الدين حتى جاء القرآن يخاطب العقل وينعي على اهل التقليد ويقول (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وينادي على رؤوس الاشهاد (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ومنها حرية الفكر والقول والعمل داخل حدود شريعة الامة والبلاد واستقلال الارادة وتقييد سلطة الرؤساء الروحانيين والسياسيين الى غير ذلك مما لامحل لشرحه وتفصيله

على هذه القواعد والاركان قامت مدنية أوربا وهي لم توجد في العالم الا بوجود القرآن هذه القواعد أهم اركان السعادة الدنيوية وقد اعرضنا عنها فشقينا في دنيانا واخذوا بها فسعدوا وسادوا حتى علينا ولو اعادوا النظر الى القرآن كرة اخرى لرأوا فيه اسباب السعادة الاخروية والقوم اذا علموا عملوا ولا يبعد ان يسبقونا في السعادة الثانية مادمنا على هذا الكسل والاهمال *

فأقترح على اخواني اعضاء هذه الجمعية ان يطالب كل فرد منهم نفسه بتدبر القران وفهم معانيه عند التلاوة ومن وقف فهمه في شيء فليراجع عنه في كتب التفسير ان كان اهلا للمراجعة والا فليرجع الى الذين يفهمون (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) اه

هذا مااحببت نشره في المنار مما استحضرته من الخطاب وربما زدت كلمات ونقصت مثلها لانني لم اكن ممن يبقي حافظا مايقوله ارتجالا

﴿ كان ياما كان ﴾

٤

بعد ماصعدت السيارة الثالثة الى العلاء * هبطت السيارة الرابعة من السماء * تريد بيع (العمر الطويل) * بالثمن القليل * ليتمتع الناس بمااشتروه من السيارات السالفات * من النعم السابغات * وهي الذكاء والفطانة * والعفة والاستقامة * والصحة والعافية * وكفى بها نعماً ضافيــة * ولم تكن تعلم ما قوبلت به بضاعتهن من الكساد * وما ذا حل بهن من الطرد والابعاد * فوقفت في مكان فسيح * ونادت بكلام فصيح * ياأصحاب العقل والفكر * هل لكم في « طول العمر» * فقد أمرت بان ابيعه لمن أراد * بشرط الاهلية والاستعداد * فهرع الناس اليها * وتكأكأوا عليهــا * حتى صار يموج بعضهم في بعض * كأنهم في يوم العرض * وطمع احد الاغنياء باحتكار هذه البضاعة لنفسه * والاستئثار ببيعها دون أبناء جنسه * فأرسل وكيل اشغاله * وكبير عمّاله * يساوم السيارة * بجميع التجاره * ولما علم الناس بذلك * ضاقت بهم المسالك * لعلمهم بما وراء هــذا الاحتكار * من انواع